

السلامة النفسية والقانون

مع الحياة اليومية. وقد يؤدي الاكتئاب إلى الانتحار. في أشد حالاته^١. يعتبر الاكتئاب من الاضطرابات النفسية الشائعة وأحد الأسباب الرئيسية للعجز في جميع أنحاء العالم. فعلى الصعيد العالمي يعاني ما يقدر بنحو ٤٠٠ مليون شخص من جميع الأعمار من الاكتئاب. ويتأثر عدد أكبر من النساء بالاكتئاب مقارنة بالرجال.

٢- **الاضطراب الوجداني الثنائي القطب (Bipolar affective disorder):** «هوامر مرض نفسي خطير. يتمثل بوجود تقلبات مزاجية غير طبيعية وحادة تتراوح بين السعادة المفرطة، والهوس، والاكتئاب، وتُرافق التقلبات المزاجية تغييرات في مستويات الطاقة والنشاط اليومي للمريض. ويمكن لهذه الحالة أن تؤدي إلى تراجع ملحوظ في التحصيل العلمي ومشاكل في العمل، وتدمير للعلاقات الاجتماعية مع الآخرين»^٢.

٣- **الخرف:** «الخرف متلازمة تتسم بحدوث تدهور في الذاكرة والتفكير والسلوك والقدرة على الاضطلاع بالأنشطة اليومية. وعلى الرغم من أنّ الخرف يصيب المسنين بالدرجة الأولى، فإنه لا يُعتبر جزءاً طبيعياً من الشيخوخة إلا أن هناك حوالي ٥٠ مليون شخصاً مصاباً به»^٣.

٤- **الإنفصام:** «إنفصام الشخصية هو اضطراب نفسي شديد يتميز بوجود حالات تشوش في التفكير والإدراك والعواطف واللغة والشعور بالذات والسلوكيات. ومن أعراضه الشائعة سماع الأصوات وتوّد الهواجس. يؤثر هذا الإضطراب النفسي على أكثر من ١٢ مليون شخص في أنحاء العالم أجمع»^٤.

٥- **البلاهة أو الجنون بدرجة متوسطة:** هي ضعف في العقل من نوع الغباء والعته، تتوقف درجة النضج النفساني لدى صاحبه عند عمر يتفاوت بين ٣ و ٧ سنوات. إنه مرض خلقي. أي منذ الولادة، قوامه نقص في العقل والإدراك، واضطراب في الانتباه وفقر في التراث الفكري، وضعف في القدرة على التحليل والحكم وفي المشاعر والعواطف والمصالح.

٦- **العصاب الاستحوادي:** وهو مرض نفسي ينطوي على مجموعة من الأعراض النفسية، كالانفعالات المكبوتة والصدمات والصراع الداخلي والشكوك والخاوف والوسواس والأفكار القهرية والقلق. هذا المرض يجعل المصاب به غير مالك الفعل البشري الذي يقوم به، فيأتي الرضى غير صحيح. يعاني المريض من استحواد أفكار تتسلط عليه وتفقدته



الهامي الدكتور بول مرقص *

تبقى الاضطرابات والأمراض النفسية التي تسكن روح الإنسان وعقله السر المعلن الذي يسعى جاهداً لإخفائه حتى عن نفسه. المرض النفسي هو اضطراب يصيب مشاعر الإنسان أو تفكيره أو حكمه على الأمور من حوله أو تصرفاته أو سلوكه. يستدعي التدخل الطبي النفسي لمعالجته والحد منه. ويمكن تعريف المرض النفسي على أنه اضطراب وظيفي يصيب شخصية الفرد. وهذا الاضطراب ناجم عن تلف أو خلل وانحراف عن الوضع الطبيعي. بسبب تعرض الفرد إلى صدمات انفعالية حادة أو خبرات مؤلمة، ويعرّف المرض النفسي أيضاً على أنه اضطراب وظيفي يصيب الفرد. فيظهر على شكل أعراض جسمية أو نفسية مختلفة، ويؤثر على أداء الفرد ويعوق توافقه النفسي، وممارسته لأنشطة حياته المختلفة.

من بين الأمراض التي تشكّل قصوراً في القدرة النفسيّة:

١- **الاكتئاب:** «هو اضطراب نفسي يصيب الإنسان بفقدان الإحساس بالمتعة إضافة إلى نقص النشاط والإحساس بالحمول والتعب واضطراب النوم والشهية زيادة أو نقصاناً مع الشعور بضالة الذات، ولوم النفس»^٥ ومن سمات الاكتئاب الشعور بالحزن، وعدم الاهتمام أو التمتع بالأشياء، والشعور بالذنب أو قلة تقدير الذات. واضطراب النوم أو الشهية، والإحساس بالتعب، وضعف التركيز. وقد يكون الاكتئاب طويل الأمد أو في شكل نوبات متكررة. مع إضعافه بصفة أساسية لقدرة المصابين به على الأداء في العمل أو في المدرسة وعلى التعامل

* محامٍ في الإستئناف، دكتور في القانون، مؤسس مكتب جوستيسيا للمحاماة www.justiciabc.com. أستاذ في جامعة القديس يوسف. ساهم باحثون من جوستيسيا في الدراسات الآيلة إلى هذا المقال.

١- www.moh.gov.sa/HealthAwareness/EducationalContent/Diseases/mental/depression

٢- www.who.int/ar/mental-disorders/April9,2019

٣- www.mawdoo3.com / ما هو الاضطراب ثنائي القطب/ ١١ كانون الثاني ٢٠١٩

٤- www.who.int/ar/newsroom/fact-sheets/dementia/19September2019

٥- www.who.int/ar/newsroom/fact-sheets/schizophrenia

٦- الزواج/ في مجموعة قوانين الكنائس الشرقية/ منشورات جامعة الحكمة/ طبعة ثانية

الخلاصة العقلية^٧.

٧- الصرع (Epilepsie): وهو اضطراب دوري وعابر في وظيفة الدماغ لعطب فيه يظهر فجأةً ويتوقف تلقائياً، فإنه يتميز بفقدان المعرفة. تظهر عوارض هذا المرض باضطرابات نفسية إما ثابتة كالهذيان (délire) والتهيؤات العصبية (hallucinations) والتبدل في الذهنية وإما مؤقتة تتصف بحالة مبهمه. فالصرع يجعل المصاب به غائياً كلياً عن كل ما يحيط به. ويصبح وعيه في حالة كسوف. يفقد الذاكرة ويعيش في غيبوبة. ويسري استعمال العقل. بالرغم من بقائه من دو مساس. وتضعف القدرة على إجراء أفعال بشرية.

٨- التوحد (Autism): «ضعف السلوك الاجتماعي والقدرة على التواصل ومملكة اللغة. ووجود مجموعة محدودة من الاهتمامات والأنشطة الفريدة للشخص المصاب يمارسها بصورة متكررة. وغالباً ما تنشأ اضطرابات النمو في سن الرضاعة أو الطفولة المبكرة. ويعاني المصابون بهذه الاضطرابات في بعض الأحيان من درجة من درجات العجز الذهني»^٨.

القانون اللبناني

يعاني قطاع الصحة النفسية في لبنان من انعدام في التوازن. إذ يعتمد توفير غالبية خدمات الصحة النفسية على القطاع الخاص مما يصعب وصول الفئات الأكثر ضعفاً إلى هذه الخدمات وذلك لافتقار القانون اللبناني للتشريعات التي تحمي الأشخاص ذوي الاضطرابات النفسية وتؤمن لهم العلاج المناسب. ولا يحظى هذا القطاع بالتمويل الكافي لتطوير خدمات الصحة النفسية وتوسيع انتشارها لتتطال الأراضي اللبنانية كافة.

في عام ٢٠١٢، قدمت منظمة «إدراك» غير الحكومية مشروع قانون «رعاية وعلاج الأشخاص المصابين بأمراض نفسية وعقلية» إلا أنه لم يحظ بأي اهتمام يذكر ولم يتم إقراره.

رغم غياب التشريعات اللازمة، أطلقت وزارة الصحة العامة البرنامج الوطني للصحة النفسية في وزارة الصحة العامة في سنة ٢٠١٤ بدعم من منظمة الصحة العالمية. ومنظمة اليونيسيف والهيئة الطبية الدولية بهدف إصلاح الرعاية الصحية النفسية في لبنان وتوفير خدمات مجتمعية تتخطى العلاج الطبي. وذلك بما يتوافق مع حقوق الإنسان. يهدف هذا البرنامج إلى تطوير نظام مستدام للصحة النفسية يضمن توفير وإمكانية الوصول الشامل إلى الخدمات العلاجية والوقائية العالية الجودة في مجال الصحة النفسية. من خلال نهج عالي الردود. مبني على الأدلة العلمية ومتعدد الاختصاصات. مع التشديد على إشراك المجتمع. إستراتيجية الرعاية. حقوق الإنسان والثقافة المحلية.

٧ - المرجع نفسه

٨ - المرجع نفسه

٩ - www.who.int/ar/newsroom/fact-sheets/details/mental-disorders

١٠ - www.government.ae/ar/information-and-services/health-and-fitness/health-of-vulnerable-groups/mental-health

لذلك أصدرت وزارة الصحة العامة التعميم رقم ٦٠ بتاريخ ٢٠ حزيران ٢٠١٨ يتعلق بترشيد وصف الأدوية النفسية والعصبية طلبت بموجبه من الجمعيات ومراكز الصحة النفسية المجتمعية ومراكز الرعاية الصحية الأولية والمستشفيات الالتزام باللائحة الوطنية للأدوية النفسية والعصبية للاستجابة الإنسانية.

National list of psychotropic and neurological medications for humanitarian response

القوانين العربية

تبدل دولة الإمارات العربية جهوداً للتدابير والخطط الجديدة لمعالجة مشاكل الصحة النفسية التي يعاني منها الأفراد. وتقوم بطرح العديد من المبادرات لتسهيل الوصول إلى خدمات الصحة النفسية. حددت السياسة الوطنية لتعزيز الصحة النفسية في دولة الإمارات خمسة أهداف استراتيجية رئيسية تشمل تعزيز فاعلية الجوانب القيادية في مجال الصحة النفسية، تطوير وتعزيز وتوسيع نطاق خدمات الصحة النفسية الشاملة والتكاملة والمستجيبة للاحتياجات والموجهة للمجتمع بفئاته وأعمارهم كافة. تعزيز التعاون بين القطاعات لتنفيذ سياسة تعزيز الصحة النفسية. تعزيز الوقاية من الاضطرابات النفسية لفئات وأعمار المجتمع كافة. وتعزيز القدرات وتحسين نظم المعلومات. وجمع واستخدام وتفعيل البيانات. وإجراء البحوث الخاصة بالصحة النفسية بغرض تطوير خدماتها. ومن بين الإجراءات والخيارات التي تضمنتها استراتيجية السياسة الوطنية للصحة النفسية كذلك توفير خدمات الصحة النفسية للمرضى الخارجيين. وتطوير وحدات الصحة النفسية للمرضى الداخليين في مستشفيات الصحة النفسية. وإنشاء خدمات الصحة النفسية المجتمعية. ومنها خدمات التوعية. وخدمات الرعاية والدعم المنزلية. والرعاية في حالات الطوارئ؛ وإعادة التأهيل المجتمعي. أعلنت وزارة الصحة ووقاية المجتمع هذه السنة عن إطلاق عدد من الحلول الرقمية في مجال الصحة العقلية والنفسية. والتي ستحدث نقلة نوعية على صعيد الممارسات السريرية. وذلك في إطار دعم وتمكين المرضى النفسيين من خلال البرامج العلاجية والتوعوية المتخصصة. بالإضافة إلى تدريب الأطباء الشباب على تجربة الواقع الافتراضي للتخصصات الطبية. وتشتمل هذه الحلول الرقمية على العلاج بمساعدة تقنية الواقع الافتراضي لفهم مرض انفصام الشخصية. والتعرف بشكل أعمق على ما يعانيه المصابون بهذا المرض. وذلك بالاعتماد على تقنية Gear by Oculus. بالإضافة إلى تقنيات أخرى من الواقع الافتراضي لعلاج مرضى الذهان. وضحايا التنمر. والشباب المصابين بالوسواس القهري. فضلاً عن برنامج مبتكر للعلاج السلوكي المعرفي لتعزيز القدرة على التكيف والذي يتم تقديمه في المدارس الابتدائية.

كذلك المملكة العربية السعودية^{١١} وقطر^{١٢} والبحرين^{١٣} وضعت قوانين متقدمة جداً تضمن حقوق الأشخاص المصابين بالاضطرابات النفسية.

منظمة الصحة العالمية

بناءً على ما نص عليه دستور منظمة الصحة العالمية أن «الصحة هي حالة من اكتمال السلامة بدنياً وعقلياً واجتماعياً. لا مجرد انعدام المرض أو العجز». تعتمد المنظمة على وضع استراتيجيات واتخاذ إجراءات تزيد من حظوظ عدد أكبر من الناس في التمتع بمستوى أحسن من الصحة النفسية. مع التركيز على أن البيئة التي ختمت وحمي أدنى الحقوق المدنية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية هي أيضاً من العوامل الأساسية لتعزيز الصحة النفسية.^{١٤} تدعم المنظمة بشكل أساسي الحكومات في بلوغ الهدف المتمثل في تحسين الصحة النفسية وتعزيزها والاعتراف بالقضايا الواسعة النطاق المتعلقة بتعزيز الصحة النفسية وليس فقط صب اهتمامها على اضطرابات الصحة النفسية.

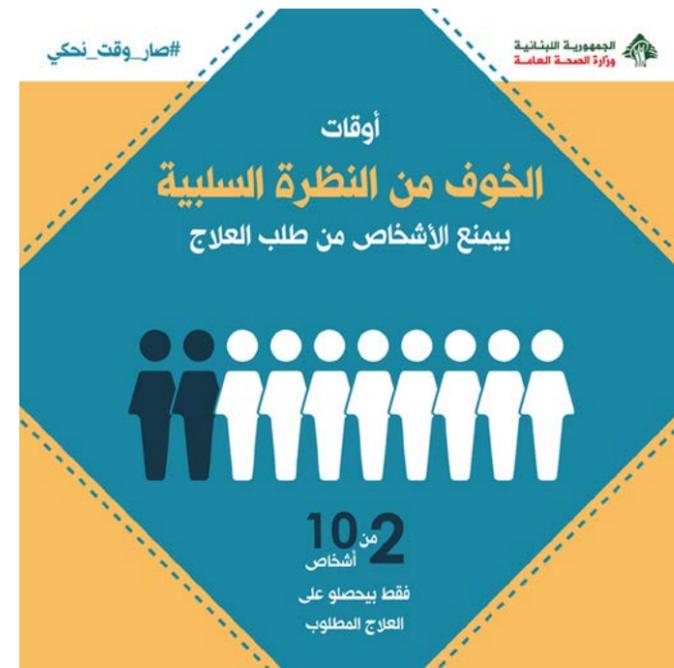
وفي عام ٢٠١٣، وافقت جمعية الصحة العالمية على «خطة عمل شاملة للصحة النفسية للفترة ٢٠١٣-٢٠٢٠». وتمثل الخطة التزاماً من جميع الدول الأعضاء في المنظمة باتخاذ إجراءات محددة لتحسين الصحة النفسية والإسهام في تحقيق مجموعة من الأهداف العالمية التي تشمل. تعزيز القيادة الفعالة وتصريف شؤون الصحة النفسية. توفير خدمات الرعاية الصحية الشاملة والمتكاملة التي تستجيب لاحتياجات السكان وخدمات الرعاية الاجتماعية في المرافق الصحية المجتمعية. تنفيذ استراتيجيات لتعزيز الصحة النفسية والوقاية وتقوية نظم المعلومات والبيانات والبحوث اللازمة للصحة النفسية.^{١٥} كما أن المنظمة تبدي اهتماماً خاصاً لتعزيز وحماية حقوق الإنسان للأشخاص الذين يعانون من مشاكل الصحة النفسية على اعتبار أنهم غالباً ما يُنبذون من المجتمع ولا يحصلون على ما يلزمهم من الرعاية أو الخدمات والدعم ليعيشوا حياة كريمة في المجتمع المحلي. في هذا السياق ذكرت المنظمة بعض الحلول التي تمنع مثل هذه المخالفات ومنها التصديق على اتفاقية الأمم المتحدة لحقوق الأشخاص ذوي الإعاقة. تغيير المواقف وإذكاء الوعي. تحسين أعمال حقوق الإنسان في مرافق الصحة النفسية وتمكين الأشخاص الذين يعانون من مشاكل الصحة النفسية وأسرهم.^{١٦}

* * *

ليس ثمة استجابة من الأنظمة الصحية بشكل كافي حتى الآن في جميع أنحاء العالم لعبء الاضطرابات النفسية. لذا فهناك فجوة كبيرة بين الحاجة إلى العلاج وتوفيره لاسيما في الدول منخفضة الدخل وتلك المتوسطة الدخل. فهناك ما بين ٧٦٪ إلى ٨٥٪ من المصابين باضطرابات نفسية لا يتلقون أي علاج لحالتهم حول العالم. ويعاني ما بين ٣٥٪ إلى ٥٠٪ من المصابين باضطرابات نفسية من الأمر ذاته في البلدان مرتفعة الدخل.

بعد تكثيف الحملات الطبية والتوعوية حول السلامة النفسية عالمياً ولاسيما بعد الحروب التي نشهدها اليوم في بلدان عدة والتي أدت إلى ازدياد ملحوظ في نسبة الهجرة واللجوء حول العالم. أصبحت الصحة النفسية أولوية في جميع الدول.

استناداً إلى ما تقدم. يتبين أنه في السنوات الأخيرة لم يحرز لبنان أي تقدم ملحوظ في هذا المجال ولا يزال قاصراً في ما يخص السلامة النفسية. ويعود ذلك لافتقار القانون اللبناني الى تشريعات تضمن سلامة وحماية الأشخاص الذين يعانون من اضطرابات نفسية على خلاف بعض الدول العربية التي أصبحت متقدمة نسبياً في هذا المجال.



١١ - www.moh.gov.sa/ministry/rules/documents/019

١٢ - www.hamad.qa/mental-health-legislation

١٣ - www.moh.gov.bh/services/mental-health

١٤ - www.who.int/ar/news-room/fact-sheets/detail/mental-health-strengthening-our-response

١٥ - المرجع نفسه

١٦ - www.who.int/features/qa/43/ar